الأخبار
al-akhbar
الاثنين 28 شباط 2011 العدد 1350

أشخاص

عبد المجيد مجذوب

ألو... صوت الزمن الجميل بالأبيض والأسود

باسم الحكيم

عندما يغيب عبد المجيد مجذوب عن مواقع التصوير، لا يبتعد كثيراً. صومعته في منطقة عائشة بكّار، حيث يعيش مع زوجته، هي المكان الأحب إلى قلبه. يستقبلك في منزله بلهجة تعرفها على الشاشة، منذ كوّن مع هند أبي اللمع، ثنائيّاً حفر في ذاكرة الجمهور في مسلسلات «حول غرفتي»، و«ألو حياتي»، و«عازف الليل»... حضوره في الحياة مشابه لحضوره على الشاشة. يخاطب أم خالد (زوجته) حيناً كأنه يقف أمام الكاميرا، لكنه يمازحها ويعرف كيف يشعل غيرتها، فـ«الغيرة تحلو بعد السبعين». عندما تثني على أناقته ووسامته، يجيب ممازحاً: «هل هذا غزل؟ المفروض أنني أنا ابن طرابلس وليس أنت!». ثم يدلّك على صور أولاده وبناته مع زوجاتهم وأزواجهن، موزعة على الحائط. «جميعهم يعيشون خارج لبنان».

اللغة الفصحى جزء من حياته اليومية، «هذه طبيعتي. من حسن حظي أنني تتلمذت على أيدي أساتذة كبار في الإذاعة، حيث قدّمنا المسلسلات الإذاعيّة بالفصحى، وكنا نصدّرها إلى العالم العربي». الحكاية أقدم من ذلك بكثير، وتعود إلى نشأته في طرابلس، في حارة قبر الزيني في منطقة الحدادين، حيث ولد عام 1939. ولأنّ آل المجذوب أسرة ذات توجّه صوفي، وكان جدّه عبد الرحمن المجذوب قاضياً، وجدُّ والده كان مفتي طرابلس، فقد نشأ الفتى على الشعر واللغة والفقه. لم يكن مستغرباً أن يؤدي دور مؤذّن الزاوية، تالياً حلقات الذكر على رفاق الطفولة. والده محمود مجذوب، كان تاجراً عاش قسماً من حياته في البرازيل. كان عبد المجيد يمضي العطلة الصيفيّة في العمل، خصوصاً بعد رحيل الوالد، وعجز والدته حفيظة رستم عن دفع تكاليف المنزل، وتحمّل مصاريف الأولاد: أديب، وعصام، وعبد المجيد، وسالم، وإعزاز، ونوال.

يفاخر دوماً بأنه ناصري الهوى: «لم أبك إلّا حين توفي عبد الناصر»، ولا يخفي تأثره بـ«الإمام العظيم» الخميني. الثورة المصرية عام 1952، كانت بمثابة تحوّل في حياته مراهقاً، فقد وعى فجأة على القضايا العربيّة، ومحورها طبعاً نكبة فلسطين. «كنا نشاهد قوافل اللاجئين تصل إلى لبنان، وتخيّم في البداوي ونهر البارد».

في طفولته، كان مولعاً بالسينما: «أشاهد أفلام الأبيض والأسود، وأعود إلى البيت فأقلّد عبد الفتاح القصري». كذلك برز ميله إلى الغناء والعزف في وقت مبكّر، وفي العاشرة، قصد أستاذاً ليتعلم العزف على العود: «كنت مولعاً بالغناء لعبد الوهاب، وأم كلثوم، وساعدني صوتي وحسن أدائي على تقديم تلك الأعمال الخالدة برفقة العود». واستمرت جلسات الطرب مع أصدقائه في ليالي السبت، وكانت تضم أطباء وضباطاً وفنانين، ومنهم «صديق عمري ابراهيم مرعشلي الذي جمعتني به صداقة قوية منذ بداياتي الفنية عام 1967».

بداية الرحلة مع الفن والتمثيل في الإذاعة. قبل ذلك، تعلّم التلحيم والحدادة الإفرنجيّة... لكنه شعر بضيق المكان على طموحه، فاستنجد بصديق لمساعدته على السفر إلى برلين الغربيّة، حيث عمل في تلحيم الكهرباء تحت المياه. بعد ثلاث سنوات عاد إلى بيروت، مصطحباً معه زوجة ألمانية من أصول نمساويّة. استمرّ الزواج سنة واحدة «إذ ضاقت أمورنا وأصيبت بالمرض، ونصحني الطبيب بإعادتها إلى ألمانيا، لتلقّي العلاج المناسب». انفصلا، وذهب كل منهما في طريقه، وحصل عبد المجيد على فرصته العمليّة التالية في الكويت في التنقيب عن النفط. أثبت الشاب تميّزاً هائلاً، فأصبح رئيساً لفرقة التنقيب سريعاً.

عن تلك المرحلة يقول: «لو استمريت في هذا المجال، لكانت حياتي اختلفت تماماً». لكن «الهوى غلاب»، فقد تعرّف في إحدى إجازاته إلى الفنانة وطفة (آسيا غندور). «كنت أسمع صوتها على الراديو، تزوجنا، ثم أخذتني المصادفة إلى التمثيل. رافقتها إلى استديو «الاتحاد الفني» الذي يملكه صبحي أبو لغد وغانم الدجاني وعبد المجيد أبو لبن. هناك التقيت وحيد جلال ومحمود سعيد».

دخل ميدان الدراما الإذاعية بفضل صوته الرخيم، فبقي في هذا الميدان عامين، سجل خلالهما مسلسل «عقد الياسمين».

حياته العائليّة تتداخل بقوة مع حياته المهنيّة. فزواجه بوطفة في حزيران (يونيو) عام 1965، أدخله عالم الفن، ثمّ انفصل عنها ليعيش وحده، بعدما أنجبا ابنتيهما منى وهند. غير أن القدر شاء أن يتعرف بزوجته الحاليّة زينب، فارتبطا وأنجبا خالد وخلود وأحمد. عام 1969، كانت محطته الأولى في التلفزيون مع حلقات دراميّة من التراث العربي أنتجتها شركة «بيتروليوم». جسّد يومذاك شخصيّة طبيب يكشف الجرائم، قبل أن تسند إليه البطولة الفعليّة الأولى في «اليد الجريحة»، ثم «الفارس الملثم» و«سر الغريب»، فـ«ليلى والبراق». كل ذلك قبل الوصول إلى مرحلة التعاون مع هند أبي اللمع التي كانت تعمل ملاحظة سيناريو مع زوجها أنطوان ريمي، قبل أن تصل إلى البطولات.

مع «حول غرفتي» (1974)، صار عبد المجيد نجماً منذ الحلقة الأولى. «وجيه رضوان، وأنطوان ريمي، وهند، وأنا، كلنا قدمنا أعمالاً تراوحت بين العادي والجيّد، لكنّ اجتماعي بهذه السيدة كان وقعه مختلفاً». لم يتمكن من تكوين ثنائي ناجح مع أي فنانة أخرى، رغم نجاح أعمال كـ«بنت البواب» و«المتنبي» (1983)، وغيرهما. «لا أعرف سرّ نجاحنا معاً، فقد فاق مسلسل «لا تقولي وداعاً» (1984)، نجاح الأعمال السابقة، لأن الجمهور كان متلهفاً لعودتنا إلى الشاشة».

ثنائي ناجح آخر، تمكّن من إنجازه مع أبي عزت (محمود سعيد): «أمضينا سنوات صديقين حميمين ثمّ اجتمعنا مع الكاتب مروان نجّار منتصف التسعينيات في «تجارة عن تراض». عبد المجيد مجذوب راض اليوم عن مسيرته الحافلة. «كنت دوماً أخطط لتحقيق شيء ما، ولم أرد اختبار شعور الندم». ولهذا الغرض، أسّس شركة «الخلود للإنتاج» المهتمة بالشعر والأدب، فقدم مسلسلي «الأستاذ ممنوع»، و«أواخر الأيام». كما اهتمت المؤسسة بالندوات الشعريّة وآخرها تسجيلات لمصلحة «المجمع الثقافي في أبو ظبي».

وكما بدأ حديثه بالحنين إلى أيام عبد الناصر، يختمه بالتعبير عن إعجابه بحزب الله، متوقفاً عند مشاركته في مسلسل «الغالبون» للمخرج باسل الخطيب عن سيرة المقاومة. «أجسد حكاية، تمنيت أن أكون أحد رجالها، لكنني مقتنع بأنني منهم من دون أن أحمل البطاقة الحزبيّة».

5 تواريخ

1939
الولادة في طرابلس (شمال لبنان)

1969
دخل ميدان الفن، وكان أول عمل درامي من بطولته بعنوان «اليد الجريحة»

1974
بدأ رحلة الثنائي مع هند أبي اللمع من خلال مسلسل «حول غرفتي»، تلاه تعاون في أعمال عدة أبرزها «ألو حياتي»

2001
عاد إلى الشاشة بعد سنوات طويلة من الانقطاع مع مسلسل «حصاد المواسم» لمروان نجار

2011
يؤدي دوراً رئيسياً في «الغالبون» للمخرج باسل الخطيب، عن مسيرة المقاومة

خالد صاغية

انكسار العنف

فيما تسيل الدماء في ليبيا، يستمرّ المديح لثورتَيْ تونس ومصر لأنهما نجحتا في إعادة الاعتبار للثورة من دون عنف ثوري. وقد دفع الانبهار بهذه الوصفة الجديدة صحيفة «نيويورك تايمز» إلى نشر مقالات عن التعاليم الغربيّة التي تشرّبها الثوّار العرب كي يقوموا بثورتهم. فالعقل الاستشراقي لا بدّ له من أن يردّ أيّ صحوة للعرب إلى أساس غربي. إن لم تكن الجيوش الأطلسيّة أو الأميركيّة هي التي نجحت في تحرير الشعوب العربيّة، فلا بدّ من التفتيش عن كتيّبات قامت بالمهمّة.

والواقع أنّ الباهر في ثورتَيْ النيل والكرامة ليس عدم استخدام العنف، بل تعريتهما لعنف السلطة. فقد كشفت الثورتان عن لحظة شديدة الروعة. وهي لحظة تبيّن فيها لاجدوى مئات الآلاف من رجال الشرطة، ومئات الآلاف من البنادق والهراوات. فجأة يتبخّر جهاز أنفقت ملايين الدولارات من أجل بنائه، وأمضت السلطات أعواماً طوالاً في تعزيز قوّته.

اللحظة نفسها كنّا قد اختبرناها في حرب تمّوز 2006. يومها، لم تكن المفاجأة في صمود المقاومة في لبنان وحسب، بل أيضاً في اكتشاف المواطنين العاديّين الجاهلين في الأمور العسكريّة مثلي، أنّ الجبروت العسكري الإسرائيلي وغير الإسرائيلي له حدود، وأنّ قصف الطائرات للمناطق الآمنة يحتاج إلى ذخيرة سرعان ما تنفد من مخازن الأسلحة للجيوش الكبرى.

حدود العنف نفسها ظهرت في العراق، وهذه المرّة من الأبواب الاقتصاديّة. فرغم لجوء الإمبراطوريّة إلى القوّة العسكريّة تعويضاً عن وهنها الاقتصادي، عاد هذا الوهن نفسه ليُسهم في استحالة تنفيذ المهمّة حتّى النهاية.

لم يكن ما حدث في منطقتنا لحظة تمجيد للنضال السلمي، بقدر ما كان انكساراً لشوكة العنف حتّى حين قابله عنف مضادّ. انكسار لأجهزة القمع، وانكسار لأقبية التعذيب، وانكسار لهيبة النظام البوليسي.

كأنّ هذه اللحظة قد فاتت معمّر القذافي. كأنّ ما يجري في ليبيا ينتمي إلى ما قبل تونس وما قبل مصر. كأنّ العنف ما زال يحتفظ بهيبته.

في عيد القيامة، يهتف المصلّون المسيحيّون: «أين غلبتك يا موت؟ أين شوكتك يا جحيم؟». هي هذه الغلبة التي اندثرت، وهذه الشوكة التي انكسرت.